

المحاضرة الثانية

خصائص التفكير الفلسفي

تمهيد: الحديث عن الفلسفة من حيث هي إبداع فكري بشري، يحيلنا بالضرورة إلى الحديث والاعتراف بأنها كذلك نمط فكر له خصوصياته التي تجعله ضرب فكري ومعرفي متميز؛ هذه الفلسفة التي جاءت معبرة عن ذلك التحول في مسار الفكر الإنساني والانتقال به نحو أفق الاستدلال العقلي، تتميز إذن بعدد الخصائص نذكر منها:

1 الشمولية: إذا كانت العلوم ومنذ استقلالها عن الفلسفة قد أخذت في الاتجاه نحو التخصص في مباحثها، وراحت تدرس قضاياها وظواهرها دراسة تجزيئية، حيث كل علم يبحث في المشكلات التي تعنيه وكأنها منفصلة عن غيرها، فنجد علم الفلك يهتم بدراسة الأجرام السماوية وما يتعلق بها من مسارات وتشكلات، وعلم الفيزياء يهتم بدراسة المادة وما يتعلق بها من كتلة وثقل..، وعلم الجيولوجيا ينشغل بدراسة التشكلات التضاريسية المختلفة، وعلم الطب يستهدف دراسة الأجسام وما له من علاقة بالأمراض..، فإن الفلسفة ومنذ بروزها عند اليونان كانت تتجنب التخصص واستمرت تنشئ الشمولية في كل ما تدرس. يقول **أرسطو** " لا علم إلا بالكلية" إنها لا تنشغل ببحث وتفسير المشكلات الجزئية كما هو حال العلوم الأخرى، ويمكن الوقوف على هذه الخاصية بالنظر لمباحثها الأساسية، فعندما يبحث الفيلسوف في الوجود مثلا فإنه لا يركز على المكونات الأساسية للكواكب والنجوم، والقوانين التي تحكم سيرها في الفضاء، وإنما يريد الإجابة على أسئلة أشمل نحو ما هو مصدر الكون؟ وما هي طبيعته؟ وما هو مصيره؟ وهذه الشمولية إنما تهدف إلى تكوين نظرة شاملة عن الكون، والإحاطة بحقيقته العامة..

2 الاتساق: يحرص الفيلسوف على تجنب التناقض في أفكاره، حتى وإن تعددت آراؤه حول القضايا والمسائل التي ينشغل ببحثها، فالنظريات الفلسفية تختلف في منطلقاتها ونتائجها، ورغم ذلك لا تفقد منطقية صدقها أمام العقل، لأنها تتميز بكونها منظومة فكرية خاضعة للانسجام المنطقي بين المنطلقات المسلم بها والنتائج المتوصل إليها ويعتقد بها الفيلسوف. ومن الثابت ان قيمة النسق الفلسفي تزداد وزنا ومصداقية كلما جانبت التناقضات، وشكلت بناء فكريا متناسقا، وهذا ما نلمسه بوضوح في مختلف الفلسفات والمذاهب الفكرية الفلسفية، فحتى وإن كانت الآراء متضادة ومتجادلة، إلا أنها تتأسس على منظومة فكرية متناسقة، تنعكس في مختلف مواقفها ونظرياتها. فالفلسفة العقلية مثلا: تدافع عن عقلية المعرفة وأصل الرياضيات، وأساس القيمة الخلقية.. محترمة في ذلك مسلماتها القائلة بفطرية مثل هذه الحقائق، وتوافقها مع قرارات العقل وبديهياته، ومن غير المنطقي القول بقيمة التجربة في ذلك، وكذلك الشأن بالنسبة للفلسفة التجريبية التي تحترم مسلماتها في بناء نظرياتها، فتبرر كل أنواع الحقائق بأنها مكتسبة طالما أن الانطباعات الحسية هي التي تفرض وجودها على العقل الذي في منشئه جاء صفحة بيضاء... لكن ورغم هذا الجدل في التأسيس المعرفي إلا أنها تبقى نظريات مقبولة عقليا بالنظر إلى انسجام واتساق مبنائها بين المنطلقات والحقائق المستخلصة..

3 التعمق: التفكير الفلسفي يتجاوز المحسوس إلى التجريد باعتماد التدبر العقلي، المتفحص الهادف إلى الكشف عن جوهر الحقيقة، إنه تأمل عميق يتجاوز الوصف السطحي، وهو في ذلك مقتنع بان الظواهر السطحية تخفي وراءها حقائق لا تدرك إلا بذلك التدبر العقلي المؤسس على النقد والشك... وهذا الفيلسوف سقراط يقول عن الخطاب الفلسفي يبحث عن الإزعاج ويوقظ من النعاس العميق لذلك كانت للتساؤل الفلسفي قيمة هامة يفضلها يتوغل الفيلسوف في جوهر القضايا والانشغالات المطروحة، يقول " كارل ياسبرز الأسئلة في الفلسفة اهم من الاجوبة وينبغي ان يتحول كل جواب الى سؤال جديد

ويقول " برتراند راسل "موجها النظر حول أهمية الفلسفة قادرة على اقتراح امكانات عديدة توسع افاق فكرنا وتحرر أفكارنا من سلطان العادة الطاعى، وتزيل التزمّت ولعل تضمن البحث الفلسفي لصفة الشك، إنما هدفه توسيع النظر والاستطلاع المعرفي، وعدم الاكتفاء بما جاهز واضح..

4 الدهشة: فالدهشة تعبر عن الشعور بالجهل بحقيقة الظواهر، والمسائل التي تواجه الإنسان، وحينها يندفع وينطلق نحو البحث عن الحقيقة.. والدهشة في الفلسفة هي كما يقول عنها " شوبنهاور "دهشة أمام الأمور الاعتيادية التي تكتسي حلة البداهة، وهي دهشة أمام الأشياء ذات الصبغة الأكثر عمومية، وجعلها موضوع التساؤل وتحويلها إلى قضايا استشكالية..

5 الانشغال بقضايا الإنسان: مهما تعددت النظريات الفلسفية، ومهما اختلفت خصوصيات العصر الذي تواجدت فيه، إلا أن الفلسفة ومنذ ظهورها الأول هي انشغال وتفكير في الإنسان واهتماماته وكيونته، فقد بحثت في حريته وسعادته ووجوده ومصيره وعلاقته بالغير وبالخالق.. وغيرها من المسائل المثيرة والمحيرة للعقل... يقول " هيجل الدفاع عن الفلسفة هو دفاع عن الإنسان